موقف شيخ الإسلام
من شيوخ الصوفية المتقدمين
(الجنيد أنموذجا)

د. ريما بنت مقرن الشيخ (*)

المقدمة :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

جاء في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية ت٧٢٨هـ نصوص في الثناء على شيوخ التصوف المتقدمين، ولا يرتاب في أنَّ الإمام الجُنيد ت٢٩٨هـ مِنْ أئمَّتهم، بل هو مرجعٌ مِنْ مرجعياتِ التصوف. وموقف شيخ الإسلام ابنِ تيمية من إمام التصوُّف أبي القاسم الجنيد دليل على عدل علماء السلف في التعامل مع المخالفين، وأنَّ الأصل في موقفهم من الآراء هو قبول وموافقةُ ما وافق الشرعَ ورد ومخالفةُ ما خالفه، أما أصحابها فهم يلتمسون العذر لمن عرف عنه متابعة السنة ويحملون كلامه على محمل حسن ما أمكن إلى ذلك سبيلا.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١. أن الجنيد من أشهر أئمة التصوف المتقدمين، وهو سيد من سادات الطرق عندهم.

(*) الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢. كثرة الأقوال المنسوبة إليه سواء كانت حقا أو باطلا.

٣. إظهار عدل وإنصاف أئمة الإسلام، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية في موقفهم من المخالفين، ومنهم شيوخ التصوف المتقدمين، ومنهم الجنيد.

أهداف البحث:

جمع وعرض أقوال الجنيد التي ذكرها شيخ الإسلام في كتبه، وبيان موقفه منها.

الدراسات السابقة:

هناك العديد من الدراسات التي تناولت الجنيد أو موقف شيخ الإسلام من التصوف والمتصوفة، وهذه الدراسات بحسب ما وقفت عليه تكلمت بالتفصيل عن جوانب كثيرة سواء من الجانب العقدي أو الصوفي للجنيد، أو من جانب موقف شيخ الإسلام عن الصوفية بالتفصيل، لكني لم أجد دراسة مستقلة جمعت أقوال الجنيد التي نقلها عنه شيخ الإسلام، وبينت موقفه منها.

إجراءات وخطة البحث:

اعتمدت المنهج الاستقرائي التحليلي؛ وذلك بجمع واستقراء النصوص والأقوال الواردة عن الجنيد في كتب شيخ الإسلام رحمهما الله، ثم تحليلها وبيان موقف شيخ الإسلام فيها.

واتبعت المنهجية العلمية في كتابة البحوث المختصرة، وإخراجها على النحو الآتي:

١. اعتمدت الرسم العثماني للآيات القرآنية، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن.

٢. خرجت الأحاديث الواردة من مظانها في كتب السنة؛ فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإن كان في غيرهما خرجته من مظانه،

ثم ذكرت الحكم عليه من حيث الصحة والضعف، واجتهدت في ذلك قدر الإمكان.

٣. عند ذكر الأعلام اكتفيت بتأريخ الوفاة للعلم عند أول موضع له.

ومن خلال جمع ما أورده شيخ الإسلام من أقوال للجنيد، فقد جاء البحث في تمهيد وأربعة مطالب وخاتمة، على النحو الآتي:

التمهيد، وفيه: التعريف بشيخ الإسلام ومكانته عند أهل السنة.

المطلب الأول: التعريف بالجنيد ومكانته عند أهل السنة والصوفية.

المطلب الثاني: أقوال ابن تيمية في شيوخ الصوفية عامة والجنيد خاصة.

المطلب الثالث: أقوال الجنيد في كتب شيخ الإسلام.

المطلب الرابع: منهج شيخ الإسلام في بيان مخالفات شيوخ الصوفية المتقدمين عامة، والإمام الجنيد خاصة.

الخاتمة، وفيها أهم ما توصلت إليه من نتائج.

فهرس المصادر والمراجع

التمهيد

التعريف بشيخ الإسلام، ومكانته عند أهل السنة

أولا: التعريف بشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

نسبه ومولده: هو أحمد تقي الدين أبو العباس بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني. ولد رحمه الله في شهر ربيع الأول سنة ٦٦١هـ، في حرّان. وفي سنة ٦٦٧هـ أغار التتار على بلده، فاضطرت عائلته إلى ترك حران، متوجهين إلى دمشق، وبها كان مستقر العائلة، حيث طلب العلم على أيدي علمائها منذ صغره، فنبغ ووصل إلى مصاف العلماء من حيث التأهل للتدريس والفتوى قبل أن يتم العشرين من عمره.

وذكر من ترجم له أقوالاً في سبب لقب العائلة بآل (تيمية) منها: أن جده محمداً كانت أمه تسمى (تيمية)، وكانت واعظة، فنسب إليها، وعرف بها. وقيل: إن جده محمد بن الخضر حج على درب تيماء، فرأى هناك طفلة، فلما رجع وجد امرأته قد ولدت بنتاً له فقال: يا تيمية، يا تيمية، فلقب بذلك. (١)

وفاته: توفي رحمه الله في ليلة الاثنين لعشرين من ذي القعدة من سنة ٧٢٨هـ بقلعة دمشق التي كان محبوساً فيها، وأُذن للناس بالدخول فيها، ثم غُسل فيها واجتمع الناس بالقلعة، ثم حملت جنازته ووضعت في الجامع والجند يحفظونها من الناس من شدة الزحام، ثم صُلي عليه بعد صلاة الظهر. واشتد الزحام في يومه؛ فقد أغلق الناس حوانيتهم، ولم يتخلف عن الحضور إلا القليل من الناس، أو من أعجزه الزحام، وصار النعش على الرؤوس تارة يتقدم، وتارة

---

(١) انظر: العقود الدرية لابن عبد الهادي ص٢. البداية والنهاية (١٣٥/١٤).

يتأخر، وتارة يقف حتى يمر الناس، وخرج الناس من الجامع من أبوابه كلها وهي شديدة الزحام.[١]

نشأته وطلبه للعلم: ذكر ابن عبد الهادي ت ٧٤٤هـ أن شيخ الإسلام سمع مسند الإمام أحمد بن حنبل مرات، وسمع الكتب الستة الكبار والأجزاء، ومعجم الطبراني الكبير، وله عناية بالحديث والفقه والنحو، وتعلم الخط والحساب في المكتب. حفظ القرآن، وأقبل على التفسير إقبالاً كلياً، حتى حاز فيه قصب السبق، وأحكم أصول الفقه وغير ذلك.

هذا كله وهو بعد ابن بضع عشرة سنة، فانبهر أهل دمشق من فُرط ذكائه، وسيلان ذهنه، وقوة حافظته، وسرعة إدراكه.[٢]

ثانيا: مكانته عند أهل السنة.

لشيخ الإسلام رحمه الله مكانة عظيمة بين أهل السنة، وقد شهد له بالفضل من أقرانه الكثير؛ قال ابن دقيق العيد ت٧٠٢هـ: "لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلاً العلوم كلها بين عينيه، يأخذ منها ما يريد، ويدع ما يريد".[٣]

وقد بلغت شهرته الآفاق كما يقول عنه الحافظ ابن رجب ت٧٩٥هـ: "وشهرته تغني عن الإطناب في ذكره، والإسهاب في أمره".[٤] وقد أثنى عليه أهل السنة في كل زمان ومكان، بل كل منصف إذا وقف على أقواله وأفعاله لا يسعه إلا الاعتراف بفضله وعلمه.

وشهد بمكانته العلمية كل من عاصره، قال ابن الزملكاني ت٧٢٧هـ: "كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم

---

(١) انظر: العقود الدرية لابن عبد الهادي ص٣٦٩، والبداية والنهاية لابن كثير (١٤/١٣٥-١٣٧).

(٢) انظر: العقود الدرية لابن عبد الهادي ص٣.

(٣) الرد الوافر للدمشقي ص١١١، شذرات الذهب لابن العماد (٥/٦).

(٤) ذيل طبقات الحنابلة ص٣٣٨.

أن أحداً لا يعرفه مثله، وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك، ولا يعرف أنه ناظر أحداً فانقطع معه ولا تكلم في علم من العلوم، سواء أكان من علوم الشرع أم غيرها إلا فاق فيه أهله، والمنسوبين إليه، وكانت له اليد الطولى في حسن التصنيف، وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين".(١)

وقال أيضاً فيه: "اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها".(٢)

وكتب فيه قوله:

ماذا يقول الواصفون له *** وصفاته جلّت عن الحصر
هو حجة لله قاهــــرة *** هو بيننا أعجوبة الدهـــــر
هو آية للخلق ظاهرة *** أنوارها أربت على الفجر(٣)

ونقل الألوسي ت١٣١٧هـ في مقدمة كتابه "جلاء العينين في محاكمة الأحمدين" جملة من أقوال معاصري الشيخ ومنهم: قول ابن سيد الناس ت٧٣٤هـ: "ألفيته ممن أدرك العلوم حظاً، وكاد يستوعب السنن والآثار حفظاً؛ إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته، وإن أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو بالحديث فهو صاحب علمه وذو روايته، أو حاضر بالملل والنحل لم ير أوسع من نحلته ولا أرفع من درايته. يرز في كل علم على أبناء جنسه، ولا رأت عيني مثل نفسه".(٤)

وقول ابن الوردي ت٧٤٩هـ -وقد عاصره ورآه-: "وكانت له خبرته تامة بالرجال وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم ومعرفة بفنون الحديث مع حفظه لمتونه الذي انفرد به، وهو عجيب في استحضاره واستخراج الحجج منه، وإليه المنتهى في

---

(١) العقود الدرية لابن عبد الهادي ص٧-٨.
(٢) النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٢٧٢/٩).
(٣) البداية والنهاية لابن كثير (١٣٢/١٤).
(٤) (٢٢/١).

عزوه إلى الكتب الستة والمسند، بحيث يصدق عليه أن يقال: (كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث) ولكن الإحاطة لله تعالى. غير أنه يغترف فيه من بحر، وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي. وأما التفسير فسلم إليه وكان يكتب في اليوم والليلة من التفسير أو من الفقه أو من الأصلين أو من الرد على الفلاسفة نحواً من أربعة كراريس.

وله التآليف العظيمة في كثير من العلوم، وما يبعد أن تصانيفه تبلغ خمسمائة مجلد وله الباع الطويل في معرفة مذهب الصحابة والتابعين. قل أن يتكلم في مسألة إلا ويذكر فيها مذاهب الأربعة. وقد خالف الأربعة في مسائل معروفة وصنف فيها واحتج لها بالكتاب والسنة. وبقي سنين يفتي بما قام الدليل عنده.

ولقد نصر السنة المحضة والطريقة السلفية وكان دائم الابتهال، كثير الاستعانة قوي التوكل ثابت الجأش له أوراد وأذكار يديمها لا يداهن ولا يحابي، محبوباً عند العلماء والصلحاء والأمراء والتجار والكبراء وصار بينه وبين بعض معاصريه وقعات مصرية وشاميه لبعض مسائل أفتى فيها بما قامت عنده الأدلة الشرعية ...".[١]

وقال عنه أبو حفص البزار ت٧٤٩هـ: "وأما ما وهبه الله تعالى ومنحه من استنباط المعاني من الألفاظ النبوية والأخبار المروية، وإبراز الدلائل منها على المسائل، وتبيين مفهوم اللفظ ومنطوقه، وإيضاح المخصص للعام، والمقيد للمطلق، والناسخ للمنسوخ، وتبيين ضوابطها، ولوازمها وملزوماتها، وما يترتب عليها، وما يحتاج فيه إليها، حتى إذا ذكر آية أو حديثاً، وبين معانيه، وما أريد

(١) جلاء العينين (١/٢٢-٢٣).

فيه، يعجب العالم الفطن من حسن استنباطه، ويدهشه ما سمعه أو وقف عليه منه".(١)

وقال: "وقلّ كتاب من فنون العلم إلا وقف عليه، كأن الله قد خصه بسرعة الحفظ، وإبطاء النسيان لم يكن يقف على شيء أو يستمع لشيء - غالباً - إلا ويبقى على خاطره، إما بلفظه أو معناه، وكان العلم كأنه قد اختلط بلحمه ودمه وسائره. فإنه لم يكن مستعاراً، بل كان له شعاراً ودثاراً، ولم يزل آباؤه أهل الدراية التامة والنقد، والقدم الراسخة في الفضل، لكن جمع الله له ما خرق بمثله العادة، ووفقه في جميع عمره لأعلام السعادة، وجعل مآثره لإمامته أكبر شهادة".(٢)

وقال أبو البقاء السبكي ت٧٧٧هـ: "والله يا فلان ما يبغض ابن تيمية إلا جاهل أو صاحب هوى، فالجاهل لا يدري ما يقول، وصاحب الهوى يصده هواه عن الحق بعد معرفته به".(٣)

وأما الإمام الذهبي ت٧٤٨هـ فله أكبر النصيب في الثناء على شيخه، وغالب من يترجم لشيخ الإسلام يذكر ثناء الإمام الذهبي، وقد ترجم له مطولا في تراجم مشائخه.(٤)

وشهادات الأئمة لهذا الإمام لم تكن من تلامذته وأصحابه فحسب، بل شهد له حتى مخالفوه بالإمامة والعلم والفقه، وقوة الحجة، وقول الحق في سبيل الله؛

---

(١) الأعلام العلية ص٣٦.

(٢) الأعلام العلية ص٢٢.

(٣) الرد الوافر للدمشقي ص٩٩.

(٤) انظر في ثناء الذهبي على شيخه: الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية لمرعي المقدسي، والعقود الدرية لابن عبد الهادي ص٤، والذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ص٣٨٨ - ٤٠١، والرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي ص٦٨ - ٧٣، الدرر الكامنة لابن حجر (١٦٠/١).

فشهد له وأثنى عليه من الصوفية عماد الدين الواسطي[١] ت٧١١هـ، فقال بعد ثناء طويل: "فو الله، ثم والله لم ير تحت أديم السماء مثل شيخكم ابن تيمية علماً وعملاً وحالاً وخلقاً واتباعاً وكرماً وحلماً وقياماً في حق الله تعالى عند انتهاك حرماته أصدق الناس عقداً، وأصحهم علماً وعزماً وأنفذهم وأعلاهم في انتصار الحق وقيامه همة، وأسخاهم كفاً وأكملهم اتباعاً لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ما رأينا في عصرنا هذا من تستجلى النبوة المحمدية وسننها من أقواله وأفعاله إلا هذا الرجل، يشهد القلب الصحيح أن هذا هو الاتباع حقيقة".[٢]

وقال الملا علي قاري[٣] ت١٠١٤هـ بعد أن ذكر اتهام ابن حجر الهيتمي ت٩٧٤هـ لشيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم ت٧٥١هـ وطعنه فيهما: "أقول: صانهما الله عن هذه السمة الشنيعة والنسبة الفظيعة، ومن طالع شرح منازل السائرين لنديم الباري الشيخ عبد الله الأنصاري الحنبلي -قدس الله تعالى سره الجلي- وهو شيخ الإسلام عند الصوفية حال الإطلاق بالاتفاق، تبين له أنهما كانا من أهل السنة والجماعة، بل ومن أولياء هذه الأمة، ومما ذكر في الشرح المذكور ما نصه على وفق المسطور هو قوله على بعض صباة المنازل، وهذا الكلام من شيخ الإسلام يبين مرتبته من السنة، ومقداره في العلم، وأنه بريء مما رماه أعداؤه الجهمية من

---

(١) من معاصري شيخ الإسلام وهو صوفي على طريقة أئمة الصوفية المتقدمين، وكان يسميه شيخ الإسلام "جنيد وقته" ويلقبه "سيدنا عماد الدين". انظر ترجمته: العقود الدرية لابن عبد الهادي ص٣٠٦، الرد الوافر للدمشقي ص٧٧.

(٢) العقود الدرية لابن عبد الهادي ص٣١١، وجلاء العينين في محاكمة الأحمدين للألوسي (٢٣/١).

(٣) الملا القاري من صوفية أهل الكلام، صاحب المصنفات في الرد على الروافض، وله كتاب في الرد على فصوص ابن عربي: انظر ترجمته: الأعلام للزركلي (١٢/٥). التاج المكلل للقنوجي ص٣٩٠. خلاصة الأثر للحموي (٣/ ١٨٥)، البدر الطالع للشوكاني (١/ ٤٤٥).

التشبيه والتمثيل على عاداتهم في رمي أهل الحديث والسنة بذلك، كرمي الرافضة لهم بأنهم نواصب، والنواصب بأنهم روافض، والمعتزلة بأنهم نوائب حشوية، وذلك ميراث من أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم في رميه ورمي أصحابه، بأنهم صراة قد ابتدعوا دينا محدثا، وهذا ميراث لأهل الحديث والميمنة من نبيهم بتلقيب أهل الباطل لهم بالألقاب المذمومة ...".[(١)]

هذه بعض الأقوال في الثناء على شيخ الإسلام ابن تيمية، ولا تخلو أقوال من ذكره من ثناء أو اعتراف بفضل أو سعة علمه، مما يدل على أثره في خدمة الإسلام وتسخير نفسه للدفاع عن الحق اعتقادا وقولا وعملا.

* *

(١) مرقاة المفاتيح (٢٧٧٨/٧).

المطلب الأول

التعريف بالجنيد ومكانته بين أهل السنة والصوفية

أولا: التعريف بالإمام الجنيد:[١]

أكثر من ترجم له ذكر أن اسمه هو: الجنيد بن محمد بن الجنيد الخراز، ومن ذكر غير ذلك لم يوثق قوله بدليل.[٢] ويكنى بأبي القاسم. ولد حوالي ٢١٥هـ في بغداد ونشأ بها وكان أبوه يبيع الزجاج فلذلك كان يقال له القواريري، وأصله من نهاوند.[٣] وتوفي رحمه الله يوم السبت سنة ٢٩٧هـ، وقيل: ٢٩٦هـ وقيل: ٢٩٨هـ وهو الأرجح؛ لإنه قول أكثر من ترجم له، وهو قول أحد معاصريه،[٤] وقبره ببغداد ظاهر يزوره الخاص والعام.

وكان الجنيد فقيها على مذهب أبي ثور الكلبي ت٢٤٦هـ -من أصحاب الإمام الشافعي ت٢٠٤هـ- وكان يفتي في حلقته بحضرته وهو ابن عشرين سنة. صحب خاله السري السقطي ت٢٥٣هـ، كما صحب الحارث المحاسبي ت٢٤٣هـ.[٥]

ثانيا: مكانة الجنيد عند أهل السنة:

أثنى جماعة من أهل العلم والمؤرخين من أهل السنة والجماعة على الجنيد[٦] باعتباره شيخا من شيوخ الصوفية[٧]؛ فهو من مشايخ أهل الكتاب والسنة؛

---

(١) الحلية لأبي نعيم (٢٥٧/١٠)، طبقات الصوفية للسلمي ص١٤٠. الطبقات الكبرى للشعراني ص٨٣.

(٢) الجنيد بن محمد وآراؤه العقدية والصوفية، نوال فلاته ص٣٦-٣٧.

(٣) بفتح النون الأولى وتكسر، والواو مفتوحة، ونون ساكنة، ودال مهملة: هي مدينة عظيمة في قبلة همذان بينهما ثلاثة أيام. معجم البلدان للحموي (٣١٢/٥).

(٤) وهو ابن المنادي ت٣٣٦هـ حيث قال في تاريخ وفاته: "وكان ذلك في سنة ثمان وتسعين ومائتين". تاريخ بغداد للبغدادي (٢٤٨/٧). وانظر: الجنيد وآراؤه العقدية لفلاتة ص٤٣.

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٦٦/١٤-٦٧).

(٦) بالغ بعضهم في الثناء عليه كابن الأثير في الكامل (٤٦٩/٦)، وذهب بعضهم إلى القدح في عدالته كابن الجوزي. انظر: تلبيس إبليس ص٣٢٣.

(٧) وهو عندهم من أهل السلوك والخواطر لا من أهل العلم. قال ابن مندة: "إنما خص الله بمعرفة هذه الأخبار نفرا يسيرا من كثير ممن يدعي علم الحديث، فأما شأن الناس =

والسنة؛ كإبراهيم بن أدهم ت١٦٢هـ، والفضيل بن عياض ت١٨٧هـ، ومعروف الكرخي ت٢٠٠، وأبو سليمان الداراني ت٢١٥هـ، والجنيد بن محمد، وسهل بن عبد الله التستري ت٢٨٣هـ، وأمثالهم رضوان الله عليهم أجمعين[١].

وهو سيِّد الطائفة، ومِنْ أحسنهم تعليمًا وتأديبًا وتقويمًا.[٢]

ومسلكه صحيح؛ "فمن سلك مسلك الجنيد، من أهل التصوف والمعرفة، كان قد اهتدى ونجا وسعد".[٣]

وترجم له ابن القيم فقال: "رحمة الله على أبي القاسم الجنيد ما أتبعه لسنة الرسول وما أقفاه لطريق أصحابه".[٤]

وقال الذهبي في ترجمته: "فرحمة الله على الجنيد وأين مثل الجنيد في علمه وحاله".[٥]

وقال ابن كثير ت٧٧٤هـ: "هو الإمام العالم في طريقة التصوف، وإليه المرجع في السلوك في زمانه، وما بعده رحمه الله".[٦]

وقال الشنقيطي ت١٣٩٣هـ عنه بأنه من: "أهل الصوفية المشهود لهم بالخير والدين والصلاح".[٧]

=ممن يدعي كثرة كتابة الحديث أو متفقه في علم الشافعي وأبي حنيفة أو متبع لكلام الحارث المحاسبي والجنيد وذي النون وأهل الخواطر، فليس لهم أن يتكلموا في شيء من علم الحديث إلا من أخذه عن أهله وأهل المعرفة، فحينئذ يتكلم بمعرفة". انظر: شرح علل الترمذي لابن رجب ص ٦١، ٦٢. العلل ومعرفة الرجال لأحمد رواية ابنه عبد الله ص٣٥.

(١) الفرقان ص٢١٣.

(٢) مجموع الفتاوى (٦٨٦/١٠).

(٣) الحسنة والسيئة ص١٠٩، مجموع الفتاوى (٤٩١/٥).

(٤) مدارج السالكين (١٢٢/٣).

(٥) سير أعلام النبلاء (٧٠/١٤).

(٦) طبقات الفقهاء الشافعيين ص١٦٨.

(٧) انظر أضواء البيان (٢٠٨/٤)

وقال الشيخ صالح الفوزان: "أما المتقدمون منهم فكانوا على جانب من الاعتدال كالفضيل بن عياض والجنيد وإبراهيم بن أدهم وغيرهم".(١)

ثالثا: مكانة الجنيد عند الصوفية: (٢)

مكانة الجنيد عند الصوفية لا تساميها مكانة أحد من شيوخهم، ولذا أطلقوا عليه عدة ألقاب، منها: شيخ الصوفية، وإمام أهل الخرقة، وتاج العارفين، وطاؤوس العلماء وغيرها. واتفقوا على إمامته وأنه ولي من أولياء الله، وأقوالهم في ذلك مستفيضة.

قال في كشف المحجوب: "شيخ المشايخ في الطريقة، وإمام الأئمة في الشريعة ... كان مقبولا لدى أهل الظاهر وأرباب القلوب، وكاملا في فنون العلم، ومفتيا وإماما لأصحاب أبي ثور في الأصول والفروع والوصول والمعاملات، وله أقوال عالية وأحوال كاملة؛ فكل أهل الطريقة متفقون على إمامته، ولا مجال لاعتراض وإعراض فيه لأي مدع أو متصرف".(٣)

وقال في الكواكب الدرية: "... سيد الطائفة، ومقدم الجماعة، وإمام أهل الخرقة، وشيخ طريق التصوف، بهلوان العارفين، مرجع أهل السلوك في زمانه فمن بعده، وقف الناس له صفوفا كالملوك، ولم ير في عصره من اجتمع له علم وحال غيره".(٤)

فهو من كبار أئمة القوم وسادتهم وكلامه مقبول على جميع الألسنة باختلاف طرقهم. وهو موصوف بالذكاء في فنون العلم، كما أن الله قد رزقه بما لم يرزق

---

(١) حقيقة التصوف وموقف الصوفية من أصول العبادة والدين ص٢٠-٢١. وانظر: وفيات الأعيان (٣٧٥/١)، تاريخ بغداد (٢٤١/٧).

(٢) انظر: السر في أنفاس الصوفية للجنيد، مقدمة المحقق ص١٧-١٨.

(٣) كشف المحجوب للهجويري (٤٣١/١).

(٤) الكواكب الدرية للمناوي (٣٧٦/١).

أحد من أقرانه، ولا ممن هو أرفع سنا منه، وهو عندهم ممن كان ينسب إلى العلم الباطن والعلم الظاهر في عفاف وعزوف عن الدنيا وأبنائها.

ولذلك انتسب إليه الصوفية ونسبوا أقوالهم إليه رغبة في تلقيها بالقبول من عامة الناس؛ فلا يخلو كتاب من كتب المتصوفة إلا وفيه إشارات عن أبي القاسم الجنيد، أو الاستدلال بكلامه، بل تجاوز الحد فيمن جاء بعده بنسبة أقوالهم وسلوكياتهم للجنيد وهو منها براء.(١)

**

(١) انظر: تاريخ بغداد للبغدادي (٢٤٦/٧)، طبقات الصوفية للسلمي ص١٢٩، طبقات السبكي (٢٨٠/١). شذرات الذهب لابن العماد ص٢٢٨، اللمع للطوسي ص٥٠٠.

المطلب الثاني

أقوال ابن تيمية في شيوخ الصوفية عامة والجنيد خاصة

كان شيخ الإسلام رحمه الله من اعلم الناس بمختلف العلوم والفنون وهذا بشهادة خصومه ؛ وقد سبق قول ابن الزملكاني ت٧٢٧هـ : " كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن وحكم أن أحدا لا يعرف مثله وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك ولا يعرف أنه ناظر أحدا فانقطع معه ولا تكلم في علم من العلوم سواء كان من علوم الشرع أم من غيرها إلا فاق فيه أهل والمنتسبين إليه"[١]، ولهذا فإن موقفه رحمه الله من مشائخ الصوفية الأوائل لا يمكن أن يكون عن قلة علم ودراية ، ومما تيسر لي جمعه في موقفه منهم ما يأتي :

- منشأ التصوف كان من البصرة، وهم نسبوا إلى اللبسة الظاهرة وهي الصوف وليس طريقهم مقيدا بلباس الصوف، ولا هم أوجبوا ذلك، ولا علقوا الأمر به، لكن أضيفوا إليه لكونه ظاهر الحال؛ ولهذا فقد كان فيهم من يسلك طريق العبادة والزهد مما له فيه اجتهاد[٢] ، وفيهم من يسلك طريق الفقه والعلم ماله فيه اجتهاد.

---

(١) الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية ص٣٦.

(٢) وهذا هو مفهوم التصوف عند الجنيد؛ فقد نقل عنه بأن: "التصوف هو الخلق من زاد عليك بالخلق زاد عليك بالتصوف". ولما سئل عن طريقة التصوف قال: "الخروج عن كل خلق رديء، والدخول في كل خلق حسن". وقال: "ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع، وترك الدنيا، وقطع المألوفات والمستحسنات، لأن التصوف هو صفاء المعاملة مع الله تعالى، وأصله التعزف عن الدنيا".

فالتصوف كما ذكر الجنيد كانت بدايته طريقة عملية سلوكية، وكان ناتجاً عن الزهد وتجويع النفس وترك ما تشتهيه؛ وذلك لأن التصوف في رأيه ليس إلا صفاء المعاملة مع الله وصدقها، وأصل ذلك في رأيه العزوف عن الدنيا وهي في النهاية طريق عملية. وليس هذا المعنى للتصوف هو رأي الجنيد وحده، بل هو رأي غيره من صوفية أهل الحديث.=

- ثم تكلموا في حدوده وسيرته وأخلاقه، كقول بعضهم: "الصوفي" من صفا من الكدر، وامتلأ من الفكر، واستوى عنده الذهب والحجر. التصوف كتمان المعاني وترك الدعاوي، وأشباه ذلك. وهم يسيرون بالصوفي إلى معنى الصديق، وأفضل الخلق بعد الأنبياء الصديقون. كما قال الله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَاءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقا ٦٩﴾[النساء:٦٩]، ولهذا ليس عندهم بعد الأنبياء أفضل من الصوفي؛ لكن هو في الحقيقة نوع من الصديقين فهو الصديق الذي اختص بالزهد والعبادة على الوجه الذي اجتهدوا فيه فكان الصديق من أهل هذه الطريق كما يقال : صديقو العلماء وصديقو الأمراء فهو أخص من الصديق المطلق ودون الصديق الكامل الصديقية من الصحابة والتابعين وتابعيهم.[١]

- المتقدمون من شيوخ الصوفية كانوا على مذهب أهل السنة ولم يكن فيهم أحد على مذهب المتكلمين أو الفلاسفة ، وكلامهم موجود في السنة وصنفوا فيها الكتب ومنهم كما ذكر شيخ الإسلام الفضيل بن عياض ت١٨٧هـ والجنيد بن محمد وسهل بن عبد الله التستري وعمرو بن عثمان المكي ت٢٩١هـ وأبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي ت٣٧١هـ وغيرهم [٢] ، قال شيخ الإسلام :

= فهذا الإمام سهل التستري يبين ذلك فيقول: "أصولنا سبعة أشياء: التمسك بكتاب الله تعالى، والاقتداء بسنة رسوله، وأكل الحلال، وكفُّ الأذى، واجتناب الآثام، والتوبة وأداء الحقوق". وقال: "الذي يلزم الصوفي ثلاثة أشياء: حفظ سرِّه، وأداءُ فرضه، وصيانة فقره". وقال أيضاً: "اعلموا أن هذا زمانٌ لا ينال أحد فيه النجاة إلا بذبح نفسه بالجوع والصبر والجهد، لفساد ما عليه أهل الزمان". وقال أبو القاسم إبراهيم النصر آباذي ت٣٦٧هـ: "أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة، وترك الأهواء والبدع وتعظيم حرمات المشايخ ورؤية أعذار الخلق، والمداومة على الأوراد، وترك ارتكاب الرخص والتأويلات". انظر: طبقات الصوفية ص ١١٥، ص ١٣١، الرسالة القشيرية (١/٧٨)، (١/٤٦٣-٤٦٨) الأربعين في إرشاد السائرين إلى منازل المتقين، الطائي الهمذاني ص٢١٢، تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٢٠٢.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١١/١٦-١٨).

(٢) انظر: الصفدية (١/٢٦٧).

"فأما شيوخ الصوفية المشهورون عند الأمة الذين لهم في الأمة لسان صدق مثل: أبي القاسم الجنيد وسهل بن عبد الله التستري وعمرو بن عثمان المكي وأبي العباس بن عطاء ت٣٠٩هـ، بل مثل: أبي طالب المكي ت٣٨٦ﻫ وأبي عبد الرحمن السلمي، وأمثال هؤلاء فحاش لله أن يكونوا من أهل هذا المذهب، بل هم من أبعد الطوائف عن مذهب الجهمية في سلب الصفات فكيف يكونون في مذهب الدهرية المنكرين لانفطار السموات وانشقاقها! نعم يوجد في المتحلين بحلية الصوفية من يعتقد أنواعا من الاعتقادات كما يوجد مثل ذلك في المتكلمين بكلام الفقهاء من أهل الفلسفة والكلام وغيرهم".(١)

وقال "والثابت الصحيح عن أكابر المشايخ يوافق ما كان عليه السلف وهذا هو الذي كان يجب أن يذكر؛ فإن في الصحيح الصريح المحفوظ عن أكابر المشايخ مثل: الفضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني، ويوسف بن أسباط ت١٩٥هـ، وحذيفة المرعشى ت٢٠١-٢١٠هـ، ومعروف الكرخي، إلى الجنيد بن محمد وسهل بن عبد الله التستري، وأمثال هؤلاء ما يبين حقيقة مقالات المشايخ، وقد جمع كلام المشايخ إما بلفظه أو بما فهمه هو غير واحد".(٢)

- وهم متفقون على ضرورة متابعة العلم والشرع، وبطلان ما خالف الكتاب والسنة، أو العقل الصريح من المعارف الواردة عن طريق الزهد والرياضة (٣)؛ لأن كثيرا منهم سلكوا في العبادة لله مجرد محبة النفس وإراداتها وهواها، من غير اعتصام بالعلم الذي جاء به الكتاب والسنة، فضلوا بسبب ذلك ضلالا يشبه ضلال النصارى".(٤) قال سهل بن عبد الله التستري: يا معشر الصوفية لا تفارقوا السواد على البياض، فما فارق أحد السواد على البياض إلا تزندق. وقال الجنيد:

(١) بيان تلبيس الجهمية (٢/١٠٩-١١١) منهاج السنة (٨/٤٧٥).
(٢) الاستقامة (١/٨٢-٨٣).
(٣) انظر بيان تلبيس الجهمية (١/٢٦٦).
(٤) منهاج السنة (٥/٣٣١).

علمنا هذا مبني على الكتاب والسنة؛ فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الشأن. [1]

- ثم جاء بعض المتأخرين منهم وكان على طريقة بعض أهل الكلام في بعض فروع العقائد، ولم يكن فيهم أحد على مذهب الفلاسفة، وإنما ظهر التفلسف في المتصوفة المتأخرين، فصارت المتصوفة تارة على طريقة صوفية أهل الحديث وهم خيارهم وأعلامهم، وتارة على اعتقاد صوفية أهل الكلام فهؤلاء دونهم، وتارة على اعتقاد صوفية الفلاسفة كهؤلاء الملاحدة".[2]

يقول شيخ الإسلام: "ثم المتقدمون الذين وضعوا طرق الرأي والكلام والتصوف وغير ذلك كانوا يخلطون ذلك بأصول من الكتاب والسنة والآثار إذ العهد قريب، وأنوار الآثار النبوية بعد فيها ظهور، ولها برهان عظيم، وإن كان عند بعض الناس قد اختلط نورها بظلمة غيرها. فأما المتأخرون فكثير منهم جرد ما وضعه المتقدمون... وكذلك من صنف في "التصوف والزهد" جعل الأصل ما روي عن متأخري الزهاد، وأعرض عن طريق الصحابة والتابعين".[3]

- وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة؛ وهم برءاء من بدع أهل التصوف فضلا عن بدع من دخل فيهم من المتفلسفة وغيرهم[4] ، ولذلك أنكره المحققون من أهل التصوف ليسوا منهم: كالحلاج ت٣٠٩هـ مثلا؛ ذموه وأنكروا عليه، ولم يعدوه من مشايخ الطريق، وأكثرهم حط عليه، وممن ذمه وحط عليه أبو القاسم الجنيد ت٢٩٨هـ سيد الطائفة وغيره. كما ذكر ذلك الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي ت٤١٢هـ في "طبقات الصوفية، وذكره الحافظ أبو بكر الخطيب ت٤٦٣هـ في تاريخ بغداد. [5]

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٤١٠-٤١٢).
(٢) انظر: الصفدية (١/٢٦٧).
(٣) مجموع الفتاوى (١٠/٣٦٧).
(٤) انظر بيان تلبيس الجهمية (٢/١٧١).
(٥) مجموع الفتاوى (١١/١٦-١٨).

- "ولأجل ما وقع في كثير منهم من الاجتهاد والتنازع فيه تنازع الناس في طريقهم؛ فطائفة ذمت الصوفية والتصوف. وقالوا: إنهم مبتدعون خارجون عن السنة، ونقل عن طائفة من الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف، وتبعهم على ذلك طوائف من أهل الفقه والكلام. وطائفة غلت فيهم وادعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء، وكلا طرفي هذه الأمور ذميم. والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله؛ ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب. ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه عاص لربه." (١)

- ومن هنا يمكن القول بأن شيوخ الصوفية الذين تعددت فيهم عبارات المحققين من أهل العلم: هم طائفة من العباد والزهاد عاشوا في القرن الثاني إلى الرابع الهجري، ولم يتأثروا بالآراء الكلامية والمذاهب الفلسفية(٢).

فالتصوف سلوك أعم من الزهد وإن كان في بدايته أخذ نفس المسلك في تزكية النفس والزهد عن الدنيا، ثم صار له كيان ومعالم خاصة وإشارات تميزهم عن غيرهم.

**

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١١/١٦-١٨).

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام، (١١/ ٥). والرسالة القشيرية، (١/ ٦-١٣٤) والاختلاف فى تحديد شيوخ التصوف كان بالنظر إلى اختلاف الزاوية التى نظر منها من عرفهم؛ فمن حددهم بفترة زمانية، حدهم بمن وجد فى القرنين الثانى والثالث الهجرى، ومن حدهم من جانب الاعتقاد الذى كان عليه السلف من الصحابة والتابعين، فمن شابههم فى ذلك فهو من أئمة الصوفية وان تأخر زمانا؛ ولذا أدرج فى أئمة الصوفية المتقدمين من كان فى القرن الرابع وما بعده لموافقة معتقده للسلف، وأخرج من أئمتهم من عرف بالبدع الاعتقادية والأفكار الفلسفية وان وجد فى القرون المتقدمة. وهو الأمر الذى اعتمده المحققون من علماء أهل السنة عند الحديث عنهم، ومنهم ابن الجوزي وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهم الله.

المطلب الثالث

أقوال الجنيد في كتب شيخ الإسلام

- كان الجنيد يوصي بحفظ القرآن وكتابة الحديث، وكان يقول: علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة؛ ومن لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث ويتفقه قبل سلوكه فإنه لا يجوز الاقتداء به.(١) وقال: لا يصح أن يتكلم في علمنا.(٢)

وقال: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول.(٣)

وحذر من علم الكلام وأهله؛ خلافا لأهل البدع؛ ف"أقل ما في الكلام سقوط هيبة الرب من القلب، والقلب إذا عري عن الهيبة من الله فقد عري من الإيمان".(٤)

خلافا لأهل البدع؛ قال شيخ الإسلام: "وأهل العبادات البدعية يزين لهم الشيطان تلك العبادات ويبغض إليهم السبل الشرعية حتى يبغضهم في العلم والقرآن والحديث، فلا يحبون سماع القرآن والحديث ولا ذكره، وقد يبغض إليهم حتى الكتاب فلا يحبون كتابا ولا من معه كتاب ولو كان مصحفا أو حديثا".(٥)

- وقال في التوحيد: هو "إفراد الموحد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته: أنه الواحد، الذي لم يلد ولم يولد، بنفي الأضداد، والأنداد، والأشباه، بلا تشبيه، ولا تكييف، ولا تصوير، ولا تمثيل ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[الشورى:١١]".(٦)

---

(١) الاستقامة (١/٩٧-٢٤٩) (٢/١٤١). وانظر: الصفدية (١/٢٥٤). الرسالة القشيرية (١/٧٩).
(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٧١٨-٧١٩). و (١١/٢١٠).
(٣) الاستقامة (١/٩٧)، درء تعارض العقل والنقل (٥/٣٤٩).
(٤) الاستقامة (١/١١٢).
(٥) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٤١٠-٤١٢).
(٦) الاستقامة (١/١٤٥).

وفي موضع آخر قال: "التوحيد: علمك وإقرارك بأن الله فرد في أزليته، لا ثاني معه، ولا شيء يفعل فعله".[1] ومما نقل عنه رحمه الله قوله: "التوحيد إفراد القدم من الحدث".[2] أو: "قال: التوحيد إفراد الحدوث عن القدم، فبين أنه يميز المحدث عن القديم تحذيرا عن الحلول والاتحاد".[3]

ومقصوده كما نبه على ذلك شيخ الإسلام توحيد القصد والطلب الذي يتضمن باقي أنواع التوحيد ؛ قال رحمه الله : "التوحيد الذي يشير إليه المشايخ، وهو التوحيد في القصد والإرادة، وما يدخل في ذلك من الإخلاص والتوكل والمحبة، وهو أن يفرد الحق سبحانه وهو القديم بهذا كله، فلا يشركه في ذلك محدث. وتمييز الرب من المربوب في اعتقادك وعبادتك، وهذا حق صحيح، وهو داخل في التوحيد الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه.. ومما يدخل في كلام الجنيد، تمييز القديم عن المحدث، وإثبات مباينته له، بحيث يعلمه ويشهد أن الخالق مباين للخلق، خلافا لما دخل فيه الاتحادية من المتصوفة وغيرهم من الذين يقولون بالاتحاد معينا أو مطلقا".[4]

"وقد أنكر ذلك عليه ابن عربي ت٦٣٨هـ -صاحب الفصوص- وادعى أن الجنيد وأمثاله ماتوا وما عرفوا التوحيد لما أثبتوا الفرق بين الرب والعبد بناء على دعواه أن التوحيد ليس فيه فرق بين الرب والعبد وزعم أنه لا يميز بين القديم والمحدث إلا من ليس بقديم ولا محدث وهذا جهل".[5]

---

(١) الرسالة القشيرية (٢٣/١).

(٢) الاستقامة (٩٢/١).

(٣) مجموع الفتاوى (٥/٤٩١-٤٩٢).

(٤) الاستقامة (١/٩٢-٩٣). وانظر: مجموع الفتاوى (٥/١٢٥-١٢٦)، (٥/٢٢٩-٢٣١).

(٥) مجموع الفتاوى (٢/٢٩٩) وانظر: منهاج السنة النبوية (٥/٣٣٩)، الصفدية (١/ ٢٦٦)، رسالة الحجج العقلية والنقلية فيما ينافي الإسلام من بدع الجهمية والصوفية ص٧، مجموع الفتاوى (١١/٢٤٠).

- وعند الجنيد يجب الإتيان بالتوحيد وأنواعه كلها، قال شيخ الإسلام: "وكان أيضا طائفة من أصحابه وقعوا في الفناء في توحيد الربوبية الذي لا يميز فيه بين المأمور والمحظور فدعاهم الجنيد إلى الفرق الثاني[1] وهو توحيد الإلهية الذي يميز فيه بين المأمور والمحظور فمنهم من وافقه ومنهم من خالفه ومنهم لم يفهم كلامه، وقد ذكر بعض ما جرى من ذلك أبو سعيد بن الأعرابي في طبقات النساك وكان من أصحاب الجنيد ومن شيوخ أبي طالب المكي كان من أهل العلم بالحديث وغيره، ومن أهل المعرفة بأخبار الزهاد وأهل الحقائق ".[2]

وقال رحمه الله في موضع آخر: "وهذا الذي ذمه الجنيد رحمه الله، وأمثاله من الشيوخ العارفين، وقع فيه خلق كثير، حتى من أهل العلم بالقرآن وتفسيره والحديث والآثار، ومن المعظمين لله ورسوله باطنا وظاهرا، المحبين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذابين عنها وقعوا في هذا غلطا لا تعمدا، وهم يحسبون أن هذا نهاية التوحيد."[3]

- كما يجب تنزيه التوحيد عن الأفكار الدخيلة كفكرة الاتحاد أو الحلول أو وحدة الوجود؛ "والجنيد رحمه الله تكلم بكلام الأئمة العارفين؛ فإن كثيرا من الصوفية وقعوا في نوع من الحلول والإتحاد كما ذكر ذلك أبو نعيم ت٤٣٠هـ في الحلية وكما ذكره القشيري في رسالته فبين الجنيد أن التوحيد لا يكون إلا بأن يميز بين القديم والمحدث ...".[4] ولهذا قال: "باب التوحيد: قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ

---

(١) الفرق الأول هو الفرق الطبيعي والفرق الثاني هو الفرق الشرعي. انظر: الرد على الشاذلي (١٢٠/١).

(٢) منهاج السنة النبوية (٣٣٩/٥). مجموع الفتاوى (٣١٨/٨) و (٢٤٣/١٠) شرح حديث النزول (٢١١/٢) الصفدية (٢٦٥/١-٢٦٦). جامع الرسائل (١٢٢/٢-١٢٦) الرد على البكري (٧٦١/٢-٧٦٣). رسالة الحجج العقلية والنقلية ص٢٧.

(٣) انظر منهاج السنة (٣٤١/٥).

(٤) الصفدية (٢٦٥/١-٢٦٦). رسالة الحجج العقلية والنقلية ص٢٧.

أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[آل عمران:١٨] التوحيد: تنزيه الله عن الحدث" قال: وإنما نطق العلماء بما نطقوا به، وأشار المحققون إلى ما أشاروا إليه في هذا الطريق لقصد تصحيح التوحيد، وما سواه من حال أو مقام فكله مصحوب العلل".[١] "قال الجنيد لا يكون العبد عبدا حتى يكون مما سوى الله تعالى حرا وهذا مطابق لهذا الحديث فإنه لا يكون عبدا لله خالصا مخلصا دينه لله كله حتى لا يكون عبدا لما سواه ولا فيه شعبة ولا أدنى جزء من عبودية ما سوى الله فإذا كان يرضيه ويسخطه غير الله فهو عبد لذلك الغير ففيه من الشرك بقدر محبته وعبادته لذلك الغير زيادة".[٢]

- وعنده لا يمكن ترك العمل مهما بلغ الإنسان زهدا وورعا؛ "ولهذا لما ذكر للجنيد بن محمد أن قوما يزعمون أنهم يصلون من طريق البر إلى ترك العبادات. فقال: الزنا والسرقة وشرب الخمر خير من قول هؤلاء، وما زال أئمة الدين ومشايخه يعظمون النكير على هؤلاء المنافقين وإن كانوا من الزهاد العابدين وأهل الكشف والتصرف في الكون وأرباب الكلام والنظر في العلوم؛ فإن هذه الأمور قد يكون بعضها في أهل الكفر والنفاق ومن المشركين وأهل الكتاب".[٣]

- وهو في صفات الله تعالى موافق للسلف؛ قال شيخ الإسلام: "سأل ابن شاهين الجنيد عن معنى "مع" فقال: على معنيين مع الأنبياء بالنصرة والكلاءة، قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسمَعُ وَأَرَىٰ﴾[طه:٤٦]ومع العامة بالعلم والإحاطة قال الله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم سورة المجادلة فقال ابن شاهين مثلك يصلح أن يكون دالا للأمة على الله. قلت: هذا كلام حسن متفق على صحة معناه بين ائمة الهدى وكانوا يقولون مثل هذا الكلام ردا على من يقول من الجهمية إن الحق بذاته في كل مكان ويمكن أن يقول فوق العرش

(١) منهاج السنة النبوية (٣٤١/٥-٣٤٢).
(٢) الزهد والعبادة ص٣٦-٣٧، مجموع الفتاوى (٥٩٨/١٠).
(٣) مجموع الفتاوى (٤٢٠/١١).

وقد وقع في ذلك طائفة من المتصوفة حتى جعلوه عين الموجودات ونفس المصنوعات كما يقوله أهل الاتحاد العام ...".(١)

- وسئل عن معرفة الله ففسرها بالإيمان بالله تعالى، فقال: "وأعلم خلقه به أشدهم إقرارا بالعجز عن إدراك عظمته، أو تكشف ذاته لمعرفتهم بعجزهم عن إدراك من لا شيء مثله، إذ هو القديم وما سواه محدث، وإذ هو الأزلي وغيره المبدأ، وإذ هو الإله وما سواه مألوه... وكل عالم فبعلمه علم، سبحانه الأول بغير بداية، والباقي إلى غير نهاية، ولا يستحق هذا الوصف غيره، ولا يليق بسواه... فالشاهد على أدناها -أي المعرفة- الإقرار بتوحيد الله، وخلع الأنداد من دونه، والتصديق به وبكتابه وفرضه فيه ونهيه".(٢)

- وكان ينكر على الصوفية مخالفاتهم ويلومهم عليها(٣)؛ ولهذا صار الجنيد قدوة في هذه الطريق، بخلاف أبي الحسين النوري ونحوه فإن أولئك حصل لهم أمور أنكرت عليهم، والجنيد نفعه الله بقيامه بالأمر والنهي فكل شيخ سالك لم يقم بالأمر والنهي متابعا في ذلك للكتاب والسنة والإيمان= فإن الله لم يرد به خيرا، كما ثبت في الصحيح: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»(٤). فمن لم يفقه في الدين لم يرد به خيرا.(٥)

**

(١) الاستقامة (١/١٨٧-١٨٨).
(٢) حلية الأولياء (١٠/٢٥٨).
(٣) ذكر شيخ الإسلام ما وقع للجنيد مع بعض الصوفية في عدة مواضع، انظر: الفتاوى (١٠/ ٢٤٣، ٤٩٧)، (١١/ ٢٤٥)، (١٤/ ٣٥٥)، (١٩/ ٢٧٨).
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، ح رقم ٧١. ومسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، ح رقم ١٠٣٧.
(٥) انظر: الرد على الشاذلي (١/١٢٠).

المطلب الرابع

منهج شيخ الإسلام في بيان مخالفات شيوخ الصوفية عامة، والإمام الجنيد خاصة:

– أهل السنة والجماعة يقولون ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع وهو أن المؤمن يستحق وعد الله وفضله الثواب على حسناته ويستحق العقاب على سيئاته وإن الشخص الواحد يجتمع فيه ما يثاب عليه وما يعاقب عليه وما يحمد عليه وما يذم عليه وما يحب منه وما يبغض منه فهذا هذا [١]. قال شيخ الإسلام: "وما ذكره أبو القاسم القشيري في رسالته من اعتقادهم وأخلاقهم وطريقتهم فيه من الخير والحق والدين أشياء كثيرة، ولكن فيه نقص عن طريقة أكثر أولياء الله الكاملين، وهم نقاوة القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم. ولم يذكر في كتابه أئمة المشايخ من القرون الثلاثة"[٢]

– كما أنهم يفرقون بين القول وصاحبه ؛ فورودَ الثناءِ مِن ابنِ تيمية على شيوخ التصوف وعلى رأسهم إمامهم الجنيد لا يعني ثناءٌ على التصوُّف والصوفية جميعا؛ ومن خلال كلام شيخ الإسلام عنهم يتبين أنَّ ثناءَه كان مِنْ جهةِ مُوافقتهم في مسائل معينة للمعتقد الحق، وحرصهم وتوصِيَتِهم باتِّباع الكتاب والسنَّة، وتحذيرِهم مِنَ البدعة والخوض في القول بالقَدَر ونحوِ ذلك؛ ولذا فصل ابن تيمية في حالهم وسبب اختلافَ الحكم عليهم وعلى طريقتهم إلى طَرَفَيْ نقيض، فالحكم على أوائلهم يختلف عن متأخِّريهم.[٣] لأن أقوال أوائلهم صادرة عن أصل وهم مستهدون فيها. [٤]

(١) مجموع الفتاوى (١١/١٦-١٨).
(٢) الاستقامة (١/ ٨٩).
(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١١/١٨)، منهاج السنة النبوية (٥/٣٣٩)، مجموع الفتاوى (٨/٣١٨) و (١٠/٢٤٣)..
(٤) انظر: الاستقامة (١/٤٠٣-٤٠٤).

- ومن منهج شيخ الإسلام فيما ينسب لأهل الفضل والصلاح أن تُحمل الأقوال المحتملة، على أحسن محمل وأسلم مقصد، فكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما ثم معصوم من الخطأ غير الرسول. والشيوخ الذين عرف صحة طريقتهم لا يقصدون ما يعلم فساده بالضرورة من العقل والدين.(١)

- أن الأقوال المنسوبة إليهم أقوال مجملة تحتاج إلى تفصيل سواء في ثبوتها أو ورودها أو معناها ؛ فرسالة القشيري مع ما فيها من الفوائد في المقولات والمنقولات ففيه أحاديث وأحاديث ضعيفة بل باطلة، وفيه كلمات مجملة تحتمل الحق والباطل رواية ورأيا وفيه كلمات باطلة في الرأي والرواية؛ ولهذا اجتهد شيخ الإسلام في تمييز ذلك واتباع سبيل الأمة الوسط الذين هم شهداء على الناس دون سبيل من قد يرفعه فوق قدره في اعتقاده وتصوفه على الطريقة التي هي أكمل وأصح مما ذكره علما وحالا وقولا وعملا واعتقادا واقتصادا، أو يحطه دون قدره فيهما ممن يسرف في ذم أهل الكلام أو يذم طريقة التصوف مطلقا والله أعلم (٢).

- **فالحق الصحيح الصريح المنقول عنهم أكثر من الباطل الذي يحتمل أكثر من وجه**؛ ومن ذلك "الذي ذكره أبو القاسم فيه الحسن الجميل الذي يجب اعتقاده واعتماده وفيه المجمل الذي يأخذ المحق والمبطل وهذان قريبان، وفيه منقولات ضعيفة ونقول عمن لا يقتدي بهم في ذلك فهذان مردودان، وفيه كلام حمله على معنى وصاحبه لم يقصد نفس ما أراده هو ثم إنه لم يذكر عنهم إلا كلمات قليلة لا تشفى في هذا الباب، وعنهم في هذا الباب من الصحيح الصريح الكبير ما هو شفاء للمقتدى بهم الطالب لمعرفة أصولهم.(٣)

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١١/٣٩١-٣٩٣).
(٢) انظر: الاستقامة (١/ ٨٩).
(٣) الاستقامة (١/٩١-٩٣).

نقل شيخ الإسلام والقشيري عن أبي عبد الرحمن السلمي بسنده أن الجنيد سئل "ما بال الإنسان يكون هادئا فإذا سمع السماع[1] اضطرب؟ فقال: إن الله لما خاطب الذر في الميثاق الأول بقوله: ﴿أَلَستُ بِرَبِّكُم قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدنَا﴾[الأعراف:١٧٢] استفرغت عذوبة سماع الكلام الأرواح فإذا سمعوا السماع حركهم ذكر ذلك. قلت: هذا الكلام لا يعلم صحته عن الجنيد والجنيد أجل من أن يقول مثل هذا ... ثم إن مذهب الجنيد في السماع كراهة التكلف لحضوره والاجتماع عليه وعنده أن من تكلف السماع فتن به فكيف يعلله بهذا؛ قال الجنيد السماع فتنة لمن طلبه ترويح لمن صادفه. فأخبر انه فتنة لمن قصده ولم يجعله

(١) السماع الذي شرعه الله للمؤمنين هو سماع القرآن وهو سماع النبيين، والمؤمنين، والعارفين، والعالمين. قال الله تعالى: ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح﴾ [مريم: ٥٨]. وقال: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول﴾ الآية [المائدة: ٨٣]. وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) وقد فسره الشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهما بأنه من الصوت فيحسنه بصوته ويترنم به بدون التلحين المكروه، وفسره ابن عيينة وأبو عبيد وغيرهما بأنه الاستغناء به. وهذا وإن كان له معنى صحيح فالأول هو الذي دل عليه الحديث؛ فإنه قال: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن يجهر به) فهذا هو السماع الذي يسمعه سلف الأمة وقرونها المفضلة. وخيار الشيوخ إنما يقولون بهذا السماع. وقد ذكر شيخ الإسلام موقف السلف من السماع وإنكار الشافعي للتغبير، فقال: وهذا من كمال معرفة الشافعي وعلمه بالدين؛ فإن القلب إذا تعود سماع القصائد والأبيات والتذ بها حصل له نفور عن سماع القرآن والآيات، فيستغني بسماع الشيطان عن سماع الرحمن. وأما الاستماع إلى القصائد الملحنة والاجتماع عليها؛ فأكابر الشيوخ لم يحضروا هذا السماع كالفضيل بن عياض وإبراهيم بن أدهم وأبي سليمان الداراني ومعروف الكرخي والسري السقطي وأمثالهم من المتأخرين: كالشيخ عبد القادر والشيخ عدي بن مسافر والشيخ أبي مدين والشيخ أبي البيان وأمثال هؤلاء المشايخ، فإنهم لم يكونوا يحضرون هذا السماع، وقد حضره طائفة من الشيوخ وأكابرهم ثم تابوا منه ورجعوا عنه. انظر: مجموع الفتاوى (٧٦/١٠)، الاستقامة (١/ ٣٩٥)، التحفة العراقية ص٧٣.

لمن صادفه مستحبا ولا طاعة، بل جعله راحة فكيف يقول إنه أظهر خطاب الحق المتقدم". [١]

– **ثم قد يكون المتكلم أخطأ في اختيار العبارة المناسبة؛** "وهذا كحال كثير من الصالحين والصادقين، وأرباب الأحوال والمقامات، يكون لأحدهم وَجْدٌ صحيح، وذوق سليم، لكن ليس له عبارة تبين مراده، فيقع في كلامه غلط وسوء أدب مع صحة مقصوده".[٢]

ومن ذلك: "ما يذكر عن بعض الشيوخ أنه جعل الخوف والرجاء من مقامات العامة فهذا قد يفسر مراده بأن المقربين يريدون وجه الله فيقصدون التلذذ بالنظر إليه وإن لم يكن هناك مخلوق يتلذذون به، وهؤلاء يرجون حصول هذا المطلوب ويخافون حرمانه فلم يخلوا عن الخوف والرجاء لكن مرجوهم بحسب مطلوبهم[٣].

وذكر عن الشبلي ت٣٣٤هـ أنه قال بين يدي الجنيد: "لا حول ولا قوة إلا بالله. فقال الجنيد: قولك ذا ضيق صدر وضيق الصدر لترك الرضا بالقضاء. فإن هذا من أحسن الكلام. وكان الجنيد رضي الله عنه سيد الطائفة ومن أحسنهم تعليما وتأديبا وتقويما؛ وذلك أن هذه الكلمة كلمة استعانة، لا كلمة استرجاع وكثير من الناس يقولها عند المصائب بمنزلة الاسترجاع ويقولها جزعا لا صبرا. فالجنيد أنكر على الشبلي حاله في سبب قوله لها إذ كانت حالا ينافي الرضا ولو قالها على الوجه المشروع لم ينكر عليه". [٤]

– **أو قصر فهمه عن معرفة الحق:** ومن ذلك: ومن قال من هؤلاء لم أعبدك شوقا إلى جنتك ولا خوفا من نارك فهو يظن أن الجنة اسم لما يتمتع فيه

---

(١) الاستقامة (٣٧٩/١-٣٨٣). وانظر: الرسالة القشيرية (٥٠٩/٢).
(٢) إقامة الدليل على إبطال التحليل (١٣٢/٥)، الفتاوى الكبرى (٤٠٤/٢). مجموع الفتاوى (٦٩٩/١٠).
(٣) دقائق التفسير (٣٥٩/٢-٣٦٣).
(٤) مجموع الفتاوى (٦٨٦/١٠-٦٨٧) وانظر: إقامة الدليل على إبطال التحليل (٤٩٢/٢-٤٩٤) الاستقامة (٨١/٢) الزهد والعبادة ص١١٩.

بالمخلوقات والنار اسم لما لا عذاب فيه إلا ألم المخلوقات، وهذا قصور وتقصير منهم عن فهم مسمى الجنة، بل كل ما أعده الله لأوليائه فهو من الجنة والنظر إليه هو من الجنة، ولهذا كان أفضل الخلق يسأل الله الجنة ويستعيذ به من النار، ولما سأل بعض أصحابه عما يقول في صلاته قال: إني أسأل الله الجنة وأعوذ بالله من النار أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، فقال: **(حولها فدندن)**[1]".[2]

– **أو أن يكون الناقل قد حمل كلامه مالا يحتمله:** قال شيخ الإسلام " ثم ذكر عنهم –الكلام عن القشيري والصوفية– في الإيمان كلمتين يدل بهما على أن الإيمان عندهم مجرد التصديق وليس هذا مذهب القوم، بل الذي حكاه عن الجنيد: التوحيد علمك وإقرارك بأن الله فرد في أزليته لا ثاني معه ولا شيء يفعل فعله. وقال أبو عبد الله بن خفيف ت٣٧١هـ الإيمان تصديق القلوب بما أعمله الحق من الغيوب؛ وهذا المذكور عن الجنيد وابن خفيف حسن وصواب، لكن لم يدل على أن أعمال القلوب ليست من الإيمان ...".[3]

وقال شيخ الإسلام: "قال أبو القاسم: وقال الجنيد في جوابات مسائل الشاميين: التوكل عمل القلب، والتوحيد قول القلب. قال أبو القاسم: وهذا قول أهل الأصول إن الكلام هو المعنى الذي قام بالقلب من معنى الأمر والنهي والخبر والاستخبار.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب في تخفيف الصلاة، رقم ٧٩٢. وابن ماجه في سننه، كتاب إقامة الصلاة، باب ما يقال في التشهد والصلاة، ح رقم٩١٠. وصححه الألباني في تخريج الكلم الطيب، ح رقم ١٠٣.

(٢) إقامة الدليل على إبطال التأويل (٣٧٠/٥). مجموع الفتاوى (٢٤٠/١٠). دقائق التفسير (٣٥٩/٢-٣٦٣).

(٣) الاستقامة (١٤٨/١).

قلت: هذه المقالة لما أسند موضعها من كلام أبي القاسم الجنيد لم يكن فيها حجة لمطلوبه، فالمذكور عن المشايخ الكبار ليس فيه صحيح صريح لمطلوبه الذي يخالف به الأحاديث الصحيحة وإجماع السلف، بل إما أن يفقد فيه الوصفان أو أحدهما؛ وذلك أن الجنيد رضي الله عنه ذكر أن التوحيد قول القلب، فأضاف القول إلى القلب، وهذا مما لا نزاع فيه أن القول والحديث ونحوهما مع التقييد يضاف إلى النفس والقلب، كما في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل)" [١]. [٢]

- **وقد يكون مكذوبا عليه:** قال شيخ الإسلام: "وما نقل عن "الجنيد" أنه قال: انتهى عقل العقلاء إلى الحيرة؛ فهذا ما أعرفه من كلام الجنيد. وفيه نظر هل قاله ولعل الأشبه أنه ليس من كلامه المعهود؛ فإن كان قد قال هذا فأراد عدم العلم بما لم يصل إليه؛ لم يرد بذلك أن الأنبياء والأولياء لم يحصل يقين ومعرفة وهدى وعلم؛ فإن الجنيد أجل من أن يريد هذا، وهذا الكلام مردود على من قاله .... فإن الاستقامة والمتابعة غالبة عليه [٣].

ومن ذلك ما أنكره شيخ الإسلام من الأخبار المروية عن الجنيد في السماع فقال: هذا الكلام لا يعلم صحته عن الجنيد والجنيد أجل من أن يقول مثل هذا. [٤]

- **أو تكون أخبارا مرسلة لا تثبت:** قال أبو القاسم: حكى عن الجنيد أنه قال السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء الزمان والمكان والإخوان. وهذه حكاية مرسلة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العتق، باب الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق ح رقم٢٥٢٨. ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس، ح رقم١٢٧.
(٢) انظر الاستقامة (١/٢١٠-٢١٢).
(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١١/٣٩١-٣٩٣).
(٤) انظر: الاستقامة (١/٣٧٩-٣٨٣). وانظر: الرسالة القشيرية (٢/٥٠٩).

والمراسيل في هذه الرسالة لا يعتمد عليها إن لم تعرف صحتها من وجه آخر[١] وما يرسله أبو القاسم في هذه الرسالة قد وجد كثير منه مكذوب على أصحابه فإما أن يكون أبو القاسم سمعه من بعض الناس فاعتقد صدقه أو يكون من فوقه كذلك أو وجده مكتوبا في بعض الكتب فاعتقد صحته.

فهذا التفصيل موجود فيمن يرسل النقول عن الناس من أهل المصنفات، ومن أكثر الكذب الكذب على المشايخ المشهورين؛ فقد رأينا من ذلك وسمعنا ما لا يحصيه إلا الله.[٢]

- ولو صح فقد يكون وصفا لحال مؤقتة يمر بها المتكلم ولا يبقى عليها، كقول الجنيد وغيره: "انتهى عقل العقلاء إلى الحيرة"[٣] قال شيخ الإسلام: "وأما قول محمد بن الفضل ت٣١٩هـ أنه قال: العارف كلما انتقل من حال إلى حال استقبلته الدهشة والحيرة. فهذا قد يراد به أنه كلما انتقل إلى مقام من المعرفة واليقين حصل له تشوق إلى مقام لم يصل إليه من المعرفة؛ فهو حائر بالنسبة إلى ما لم يصل إليه دون ما وصل إليه. وقوله: أعرف الناس بالله أشدهم فيه تحيرا؛ أي أطلبهم لزيادة العلم والمعرفة؛ فإن كثرة علمه ومعرفته توجب له الشعور بأمور لم يعرفها بعد؛ بل هو حائر فيها طالب لمعرفتها والعلم بها ولا ريب أن أعلم الخلق بالله قد قال: **(لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك)**[٤] والخلق ما أوتوا من العلم إلا قليلا.[٥]

- أو يكون كلاما مجملا يحمل على الكلام المفصل في المواضع الأخرى: قال شيخ الإسلام: "قال الجنيد السماع فتنة لمن طلبه ترويح لمن صادفه وذكر الرازي أن الجنيد يقول إذا رأيت المريد يحب السماع فأعلم أن فيه بقية من البطالة

---

(١) انظر: الاستقامة (٤٠٢/١-٤٠٣).
(٢) انظر: الاستقامة (٣٨٣/١).
(٣) مجموع الفتاوى (٣٨٣/١١).
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، ح رقم ٤٨٦.
(٥) مجموع الفتاوى (٣٩١/١١-٣٩٣).

الاستقامة"[١] ثم قال: "وهذان القولان مفسران، والقول الأول مجمل؛ فإن كان الأول محفوظا عن الجنيد فهو يحتمل السماع المشروع، فإن الرحمة تنزل على أهله كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[الأعراف:٢٠٤] فذكر أن استماع القرآن سبب الرحمة. وقال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا غشيتهم الرحمة، وتنزلت عليهم السكينة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده)[٢]. وقد ذكر الله في غير موضع من كتابه أن الرحمة تحصل بالقرآن كقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[الإسراء:٨٢] وقال: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف:٢٠٣]، وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[النحل:٨٩]. يبين ذلك أن لفظ السماع يدخل فيه عندهم السماع الشرعي، كسماع القرآن والخطب الشرعية والوعظ الشرعي ..."[٣].

وبالجملة فإذا كان المسند المحفوظ المعروف من قول الجنيد أنه رحمه الله لا يحمد هذا السماع المبتدع ولا يأمر به ولا يثني عليه، بل المحفوظ من أقواله ينافي ذلك لم يجز أن يعمد إلى قول مجمل روى عنه بغير إسناد فيحمل على أنه مدح هذا السماع المحدث. [٤]

وقد بين شيخ الإسلام مراد الجنيد بقوله: "متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير بمن له شبيه ونظير! هيهات هذا ظن عجيب إلا بما لطف اللطيف من حيث لا درك ولا وهم ولا إحاطة إلا إشارة اليقين وتحقيق الإيمان".

(١) الاستقامة (٣٩٥/١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، ح رقم ٢٦٩٩.

(٣) الاستقامة (٣٩٦/١).

(٤) الاستقامة (٤٠١/١).

فقال: "قلت هذا الكلام يقتضي أن العباد إنما عرفوا ربهم بما الطف به من تعرفة إليهم وهدايته إياهم بما أعطاهم لا معرفة إدراك وإحاطة وهذا حسن وربما يتضمن نوعا من الرد على طريقة أهل النظر الذين يجعلونه بمجرده محصلا للمعرفة المطلوبة".(1)

- أن يكون فعله نسيانا أو اتفاقا أو جهلا لا لاعتقاده فيه فإذا علم أنه ذنب رجع عنه وتاب منه:

قال شيخ الإسلام: "روى بعضهم أن الجنيد كان يحضر السماع في أول عمره، ثم تركه. وحضوره له فعل، والفعل قد يستدل به على مذهب الرجل وقد لا يستدل؛ ولهذا ينازع الناس في مذهب الإنسان هل يوجد من فعله. وقال بعض السلف أضعف العلم الرؤية وهو قوله رأيت فلانا يفعل وقد يفعل الشيء بموجب العادة والموافقة من بعد اعتقاد له فيه، وقد يفعل نسيانا لا لاعتقاده فيه أو حضا وقد يفعله ولا يعلم أنه ذنب ثم يعلم بعد ذلك أنه ذنب ثم يفعله وهو ذنب. وليس أحد معصوما عن أن يفعل ما هو ذنب، لكن الأنبياء معصومون من الأقرار على الذنوب، فيتأسى بأفعالهم التي أقروا عليها؛ لأن الإقرار عليها يقتضي أنها ليست ذنبا. وأما غير الأنبياء فلا فكيف بمن يكون فعل فعلا ثم تركه."(2)

"وأقصى ما يقال إن الجنيد كان يفعل أولا هذا السماع على طريق الاستحسان له والاستحباب، أو يقول ذلك. فيكون هذا لو صح معارضا لأقواله المحفوظة عنه فيكون له في المسألة قولان". (3)

"قال أبو القاسم وسئل أبو علي الروذباري ت٣٢٢هـ عن السماع يوما، فقال: ليتنا تخلصنا منه راسا برأس. قلت: هذا الكلام من مثل هذا الشيخ الذي هو أجل المشايخ الذين صحبوا الجنيد وطبقته يقرر ما قدمناه من أن حضور الشيخ السماع

---

(1) الاستقامة (١/١٨٤).
(2) الاستقامة (١/٤٠١).
(3) الاستقامة (١/٤٠٢-٤٠٣).

لا يدل على مذهبه واعتقاد حسنه؛ فإنه يتمنى ألا يكون عليه فيه إثم، بل يخلص منه لا عليه ولا له. ولو كان من جنس المستحبات لم يقل ذلك فيه إلا لتقصير المستمع لا لجنس الفعل، وليس له أن يقول ذلك إلا عن نفسه، لا يجعل هذا حكما عاما في أهل ذلك العمل".(١)

- **وقد تكون عزائم تنفسخ عند وجود الحقائق:** مثل ما حصل لسمنون ت٢٩٨هـ الذي قال:

... وليس لي في سواك حظ ... فكيف ما شئت فامتحني ...

فابتلي بعسر البول فجعل يطوف على صبيان المكاتب، ويقول: ادعوا لعمكم الكذاب، قال تعالى: ﴿وَلَقَد كُنتُم تَمَنَّونَ ٱلمَوتَ مِن قَبلِ أَن تَلقَوهُ فَقَد رَأَيتُمُوهُ وَأَنتُم تَنظُرُونَ﴾[آل عمران:١٤٣]. فهذا الذي ادعاه سمنون من الرضا، ظهر غلطه فيه بأدنى بلوى، مع أنه كان يضرب به المثل، وله في المحبة مقام مشهور. (٢)

- **وقد يكون فاقدا للإحساس أو للعقل أو جاهلا ومكابرا:** كمن قال إن الحي يستوي عنده جميع المقدورات(٣)؛ بل لا بد من الفرق فإنه أمر ضروري، لكن إذا خرج عن الفرق الشرعي بقي في الفرق الطبعي فيبقى متبعا لهواه لا مطيعا لمولاه؛ ولهذا لما وقعت هذه المسألة بين الجنيد وأصحابه ذكر لهم الفرق الثاني: وهو أن يفرق بين المأمور والمحظور، وبين ما يحبه الله وما يكرهه، مع شهوده للقدر الجامع، فيشهد الفرق في القدر الجامع، ومن لم يفرق بين المأمور والمحظور خرج عن دين الإسلام(٤).

(١) الاستقامة (٤١١/١-٤١٢).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٦٨٨/١٠-٦٩٠) و(٣٩١/١١-٣٩٣)، الفتاوى الكبرى (٣٩٩/٢)، النبوات (٣٤٣/١).
(٣) مجموع الفتاوى (٣٩١/١١-٣٩٣).
(٤) انظر: دقائق التفسير (٣٥٩/٢-٣٦٣)، إقامة الدليل على إبطال التحليل (٣٧١/٥)، رسالة الحجج العقلية والنقلية ص٧.

ومنه أيضا ما ينقل عن الشبلي ونحوه، "فلا بد من عرض أقواله وأحواله على الحجة فيقبل منها ما وافق الحق دون ما لم يكن كذلك؛ لأنه قد كان يعرض له زوال العقل حتى يذهب به إلى المارستان[١] غير مرة وقد يختلط اختلاطا دون ذلك. ومن كان بهذه الحال فلا تكون أقواله وأفعاله في مثل هذه الأحوال مما يعتمد عليها في طريق الحق، ولكن له أقوال وأفعال حسنة قد علم حسنها بالدليل، فتقبل لحسنها في نفسها، وإن كان له حال أخرى بغير عقله أو اختلط فيها أو وقع منه ما لا يصلح....".[٢]

وكذلك صار في شيوخ الصوفية من يعرض له من الفناء والسكر ما يضعف معه تمييزه، حتى يقول في تلك الحال من الأقوال ما إذا صحا عرف أنه غالط فيه، كما يحكى نحو ذلك عن مثل: البسطامي ت٢٦١هـ والشبلي، وأمثالهم. بخلاف الداراني والكرخي والفضيل، بل وبخلاف الجنيد وأمثالهم، ممن كانت عقولهم وتمييزهم يصحبهم في أحوالهم فلا يقعون في مثل هذا الفناء والسكر ونحوه.[٣]

- **وقد يكون الكلام ردا على مذهب باطل كالقدرية ونحوهم:** فالقدرية ممن يجعل بعض الأشياء خارجة عن قدرة الله وتدبيره؛ فالقوم لم يكونوا على رأى القدرية من المعتزلة وهذا حق، فما نعلم في المشايخ المقبولين في الأمة من كان على رأى المعتزلة لا في قولهم في الصفات بقول جهم، ولا في قولهم في الأفعال بقول القدرية، بل هم أعظم الناس إثباتا للقدر وشهودا له، وافتقارا إلى الله والتجاء إليه حتى أن من المنتسبين إلى الطريق من غلوا في هذا حتى يذهب إلى الإباحة

---

(١) المارستان: كلمة فارسية، ومعناها: دار المرضى. انظر: الصحاح للجوهري (١١٦/٤). مختار الصحاح للرازي ص٦٤٢.
(٢) الاستقامة (٤٠٣/١-٤٠٤).
(٣) انظر: إقامة الدليل على إبطال التحليل (٤/ ٣٨٤-٣٨٥)، الفتاوى الكبرى (٢٠٥/٥)، مجموع الفتاوى (٢٢١/١٠).

والجبر ويعرض عن الشرع والأمر والنهي. فهذه الآفة توجد كثيرا في المتصوفة والمتفقرة، وأما التكذيب بالقدر فقليل فيهم جدا(١).

"وإلا فأئمة الصوفية والمشايخ المشهورون من القدماء: مثل الجنيد بن محمد وأتباعه ومثل الشيخ عبد القادر ت٥٦١هـ وأمثاله، فهؤلاء من أعظم الناس لزوما للأمر والنهي، وتوصية باتباع ذلك، وتحذيرا من المشي مع القدر كما مشى أصحابهم أولئك. وهذا هو الفرق الثاني الذي تكلم فيه الجنيد مع أصحابه. والشيخ عبد القادر كلامه كله يدور على اتباع المأمور، وترك المحظور والصبر على المقدور، ولا يثبت طريقا تخالف ذلك أصلا لا هو ولا عامة المشايخ المقبولين عند المسلمين، ويحذر عن ملاحظة القدر المحض بدون اتباع الأمر والنهي كما أصاب أولئك الصوفية الذين شهدوا القدر وتوحيد الربوبية، وغابوا عن الفرق الإلهي الديني الشرعي المحمدي الذي يفرق بين محبوب الحق ومكروهه، ويثبت أنه لا إله إلا هو".(٢)

وقال شيخ الإسلام: "وقال الجنيد: سئل بعض العلماء عن التوحيد، فقال: هو اليقين. فقال السائل: بين لي ما هو؟ فقال: هو معرفتك أن حركات الخلق وسكونهم فعل الله وحده لا شريك له، فإذا فعلت ذلك فقد وحدته.

وقال -معلقا على كلام القشيري-: "قلت كلام الواسطي ت٦٣٢هـ والجنيد المذكور هنا هو توحيد الربوبية وأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه، وفيه الرد على القدرية الذين يجعلون أفعال العبد خارجة عن قدرته وخلقه وملكه "(٣).

**

(١) انظر: الاستقامة (١/١٤٧-١٤٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/٣٦٩).

(٣) الاستقامة (١/١٧٨-١٨٣).

الخاتمة

١- أن الجنيد من مشايخ الصوفية المتقدمين في القرن الثالث الهجري، ومن كبار أئمة الصوفية وسادتهم.

٢- جملة من الأقوال المنسوبة إليه انتحلها أصحابها حتى يقبلها العامة.

٣- الخلاف في تعريف التصوف عند المتقدمين هو اشتراك العباد والفقهاء في لبس الصوف.

٤- المقصود بالصوفية المتقدمين هم من أدرك القرون من الثاني إلى الرابع.

٥- الاجتهاد والتنازع في تعريف التصوف هو السبب في الاختلاف في الحكم عليه.

٦- أوائل الصوفية كالفضيل بن عياض والجنيد وسهل التستري كانوا على مذهب أهل السنة والجماعة.

٧- وهم متفقون على ضرورة متابعة العلم والشرع وبطلان ما خالفهما.

٨- وهم من أبعد الناس عن مذهب الجهمية والحلولية والدهرية.

٩- بعض المتأخرين من الصوفية على طريقة بعض أهل الكلام وبعضهم على اعتقاد صوفية الفلاسفة.

١٠- التوحيد عند الجنيد هو توحيد القصد والطلب ويدخل فيه توحيد المعرفة ولا يتحقق الوعد به الا بتحقيقه بأنواعه وتنزيهه عن أفكار الحلول والجبر.

١١- لا تتحقق العبودية الا بالإخلاص، ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

١٢- لا يتحقق البر عند الجنيد الا بتحقيق العبادات، ومن زعم خلاف ذلك فقد خالف الحق.

١٣- لا تتحقق المعرفة عند الجنيد الا بالإيمان بالله تعالى.

١٤- أهل السنة متفقون على أن الشخص الواحد قد يجتمع فيه ما يثاب عليه وما يعاقب عليه.

١٥- الحكم على متقدمي الصوفية وأوائلهم مختلف عن الحكم على متأخريهم.

١٦- من مناهج أهل السنة في التعامل مع المخالف من أهل الفضل؛ حمل أقواله المحتملة على أحسن محمل وأسلم مقصد.

١٧- أن المنقول عن مشائخ الصوفية المتقدمين فيه أحاديث ضعيفة أو باطلة أو كلمات مجملة تحتمل الحق والباطل رواية ورأيا.

١٨- أن الصحيح الصريح مما هو مذكور عنهم أكثر من الباطل المكذوب عليهم.

١٩- أن بعض الأفعال المنسوبة إليهم قد تكون عن جهل أو نسيان أو خطأ رجعوا عنه.

٢٠- أن بعض الأقوال المنسوبة إلى بعضهم صدرت منهم وقت غياب عقولهم أو اختلاطهم.

٢١- أن بعض الأقوال المنسوبة إليهم تكون خاصة للرد على بدعة أو رأي باطل، ولا تفهم إلا بمعرفة ذلك القول.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام

على أشرف الأنبياء والمرسلين،،

فهرس المصادر والمراجع

١. الأربعين في إرشاد السائرين إلى منازل المتقين، أبو الفتوح مجد الدين الطائي الهمذاني، عبد الستار أبو غدة. دار البشائر الإسلامية- بيروت، ط الأولى ١٤٢٠هـ.

٢. الاستقامة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: محمد رشاد سالم. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- المدينة المنورة، ط الأولى، ١٤٠٣هـ.

٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي. دار الفكر- بيروت، ١٤١٥هـ.

٤. الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، عمر بن علي البغدادي البزار. ت: زهير الشاويش. المكتب الإسلامي- بيروت، ط الثالثة ١٤٠٠هـ.

٥. إقامة الدليل على إبطال التحليل، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية.

٦. البداية والنهاية، عماد الدين ابن كثير، ت: عبد الله التركي. هجر للطباعة والنشر- الجيزة، ط الأولى، ١٤١٧هـ.

٧. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني. دار المعرفة- بيروت.

٨. بيان تلبيس الجهمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط الأولى ١٤٢٦هـ.

٩. التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، محمد صديق خان القنوجي. وزارة الأوقاف- قطر، ط الأولى، ١٤٢٨هـ.

١٠. تاريخ بغداد، أحمد الخطيب البغدادي، ت: بشار عواد. دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط الأولى، ١٤٢٢هـ.

١١. التحفة العراقية في الاعمال القلبية، أحمد بن تيمية. المطبعة السلفية- القاهرة، ط الثانية، ١٣٩٩هـ.

١٢. جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، نعمان بن محمود الألوسي. مطبعة المدني، ١٤٠١هـ.
١٣. الجنيد بن محمد وآراؤه العقدية والصوفية، نوال فلاتة. رسالة ماجستير في جامعة أم القرى ١٤٢٩هـ.
١٤. الحسنة والسيئة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية. دار الكتب العلمية– بيروت.
١٥. حقيقة التصوف وموقف الصوفية من أصول العبادة والدين، صالح بن فوزان الفوزان.
١٦. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني. السعادة– مصر، ١٣٩٤هـ.
١٧. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين الحموي. دار صادر– بيروت.
١٨. درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن تيمية، ت: عبد اللطيف عبد الرحمن. دار الكتب العلمية– بيروت ١٤١٧هـ.
١٩. الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: محمد عبد المعيد ضان. مجلس دائرة المعارف العثمانية= الهند، ط الثانية، ١٣٩٢هـ.
٢٠. دقائق التفسير أحمد بن تيمية، ت: محمد السيد الجليند. مؤسسة علوم القرآن– دمشق، ط الثانية ١٤٠٤هـ.
٢١. ذيل طبقات الحنابلة، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ت: عبد الرحمن العثيمين، مكتبة العبيكان– ١٤٢٥هـ، ط الأولى، ١٤٢٥هـ.
٢٢. الرد على البكري، أحمد بن تيمية، ت: محمد علي عجال. مكتبة الغرباء الأثرية– المدينة المنورة، ط الأولى، ١٤١٧هـ.

٢٣. الرد على الشاذلي في حزبيه، وما صنفه في آداب الطريق، أحمد بن عبد السلام بن تيمية، ت: علي العمران. دار عالم الفوائد- مكة المكرمة، ط الأولى ١٤٢٩هـ.
٢٤. الرد الوافر على من زعم أن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر، محمد بن عبد الله الشهير بابن ناصر الدين الدمشقي، ت: زهير الشاويش. المكتب الإسلامي- بيروت، ط الأولى، ١٣٩٣هـ.
٢٥. الرسالة القشيرية، عبد الكريم القشيري، ت: عبد الحليم محمود ومحمود الشريف. دار المعارف- القاهرة.
٢٦. رسالة الحجج العقلية والنقلية فيما ينافي الإسلام من بدع الجهمية والصوفية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية.
٢٧. الزهد والورع والعبادة، أحمد بن تيمية، ت: حماد سلامة ومحمد عويضة. مكتبة المنار- الأردن، ط الأولى ١٤١٧هـ.
٢٨. السر في الأنفاس الصوفية، الجنيد بن محمد، ت: عبد الباري محمد داود.
٢٩. سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، ت: محمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر- بيروت.
٣٠. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، ت: أحمد شاكر وآخرون. مكتبة ومطبعة مصطفى البابي- مصر، ط الثانية ١٣٩٥هـ.
٣١. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.
٣٢. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن العماد، ت: محمود الأونؤوط. دار ابن كثير- دمشق، ط الأولى ١٤٠٦هـ.
٣٣. شرح حديث النزول، أحمد بن عبد الحليم تيمية. المكتب الإسلامي- بيروت، ط الخامسة، ١٣٩٧هـ.

٣٤. شرح علل الترمذي، ابن رجب الحنبلي، ت: همام عبد الرحيم. مكتبة المنار– الزرقاء، ط الأولى، ١٤٠٧هـ.
٣٥. الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية، مرعي بن يوسف المقدسي، ت: نجم عبد الرحمن. دار الفرقان، مؤسسة الرسالة– بيروت، ط الأولى، ١٤٠٤هـ.
٣٦. الصحاح، إسماعيل الجوهري. دار العلم للملايين– بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٩٠م.
٣٧. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري. دار ابن كثير– بيروت، ط الثالثة ١٤٠٧هـ.
٣٨. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت: محمد فؤاد. دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٣٩. الصفدية، أحمد بن تيمية، ت: محمد رشاد سالم. مكتبة بن تيمية– مصر، ط الثانية ١٤٠٦هـ.
٤٠. طبقات الصوفية، محمد بن الحسين السلمي، ت: مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية– بيروت، ط الأولى، ١٤١٩هـ.
٤١. طبقات الفقهاء الشافعية، عثمان عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح، ت: محيي الدين نجيب. دار البشائر الإسلامية– بيروت، ط الأولى ١٩٩٢م.
٤٢. الطبقات الكبرى للشعراني الكبرى، محمد بن سعد الزهري، ت: إحسان عباس. دار صادر– بيروت، ط الأولى، ١٩٦٨م.
٤٣. العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، محمد بن أحمد بن عبد الهادي، ت: محمد حامد الفقي. دار الكتاب العربي– بيروت.
٤٤. العلل ومعرفة الرجال، أحمد بن حنبل، رواية ابنه عبد الله، ت: وصي الله بن محمد عباس. دار الخاني– الرياض، ط الثانية، ١٤٢٢هـ.

٤٥. عوارف المعارف، أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي.
٤٦. الفتاوى الكبرى، أحمد بن عبد السلام بن تيمية، ت: حسنين محمد. دار المعرفة- بيروت، ط الأولى، ١٣٨٦هـ.
٤٧. الفرقان، أحمد بن عبد السلام بن تيمية، ت: عبد القادر الأرناؤوط. مكتبة دار البيان- دمشق، ١٤٠٥هـ.
٤٨. الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير، ت: عمر عبد السلام. دار الكتاب العربي- بيروت، ط الأولى، ١٤١٧هـ.
٤٩. كشف المحجوب، أبو الحسن علي بن عثمان الهجويري، ت: إسعاد قنديل. المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة، ٢٠٠٧م.
٥٠. الكلم الطيب، أحمد بن تيمية، ت: ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي- بيروت، ط الثالثة، ١٩٧٧م.
٥١. الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، عبد الرؤوف المناوي، ت: محمد أديب. دار صادر- بيروت.
٥٢. اللمع، أبو النصر الطوسي، ت: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي. دار الكتب الحديثة-مصر، ١٣٨٠هـ.
٥٣. مجموع الفتاوى أحمد بن تيمية، ت: أنور الباز وعامر الجزار. دار الوفاء، الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ.
٥٤. مجموعة الرسائل والمسائل، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: محمد رشيد رضا. لجنة التراث العربي.
٥٥. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، ت: يوسف الشيخ محمد. المكتبة العصرية- الدار النموذجية بيروت - صيدا، الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ.

٥٦. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ت: محمد البغدادي. دار الكتاب العربي- بيروت، ط الثالثة، ١٤١٦هـ.

٥٧. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي الملا القاري. دار الفكر- بيروت، ط الأولى، ١٤٢٢هـ.

٥٨. معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي. دار صادر- بيروت، ط الثانية ١٩٩٥هـ.

٥٩. منهاج السنة أحمد بن تيمية، ت: محمد رشاد. مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٦٠. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب- مصر.

٦١. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان، ت: إحسان عباس. دار صادر- بيروت.

* * *